والعمل الجسمي والذهني المتخلفة من المجتمع القديم والتي تعكس التمايزات الطبقية .

لا يمكن الغاء كل الطبقات بالقيام بثورة واحدة على جبهة معينة ، يمكن انجازها تدريجيا فقط بالمثابرة بالثورة الدائمة في كل المجالات .

ومن الضروري لالغاء كل التمايزات الطبقية ، الغاء كل علاقات الانتاج التي تهيء لها اسباب الظهور. وتشمل هذه العلاقات ثلاث مجالات وخاصة اشكال ملكية وسائل الانتاج ، وحالة الناس والعملات المتبادلة بينهم في الانتاج وتوزيع المنتجات حيث تكون ملكية وسائل الانتاج ذات اهمية حاسمة . وعليه ، على البروليتاريا الا تستاصل الملكية الخاصة لوسائل الانتاج فقط بل وان تخلق الظروف للانتقال من الملكية الجماعية الى ملكية كل الشعب في المستقبل ، وهكذا تتحول كل وسائل الانتاج الى كل المجتمع ، وينبغي الا تحول اشكال الملكية فحسب ، وانما تحول أيضا كل العلاقات غير المتكافئة حسب وضع الشعب والعلاقات المتبادلة فيما بينه في مجرى الانتاج وكذلك العلاقات غير المتكافئة نظرا الى التوزيع . ذلك بسبب ان كل البصمات القديمة في علاقات الانتاج هي الاساس المادي التي تهيء ظهور التمايزات الطبقية .

ومن الضروري ايضا ، لالغاء كل التمايزات الطبقية ، الغاء « كل العلاقات الاجتماعية التي تتسجم وعلاقات الانتاج هذه » . وتشير العلاقات الاجتماعية الشبيهة الى علاقاتهم المتبادلة التي انبثقت في النشاطات الاجتماعية . وتشمل العلاقات الاقتصادية او علاقات الانتاج التي تشكل الاتجاه الرئيسي وتلعب الدور الحاسم ، بالاضافة الى ذلك توجد العلاقات في الميادين السياسية والفكرية والثقافية . وكل هذه العلاقات انعكاس علاقات الانتاج الخاصة ولها محتويات طبقية محددة تختلف كثيرات نظام اجتماعي . وعليه ، لا بد ، لالغاء كل التمايزات الطبقية ، الا نلغي فقط علاقات الانتاج القائمة عليها بل وكل العلاقات الاجتماعية التي تتسجم وعلاقات الانتاج هذه . ذلك كله يعود الى ان العلاقات الاجتماعية في الميادين السياسية والفكرية والثقافية يمكن ان تفعل فعلها في علاقات الانتاج وتلعب دورا اساسيا وحاسما في ظل الظروف الموجودة . واذا لم نقض على كل العلاقات الاجتماعية القديمة فلا يمكن توطيد وتطوير علاقات الانتاج الاجتماعية الجديدة ، ويمكن مع مرور الوقت ان تلاشى بفعل العلاقات الاجتماعية القديمة مما يجعلها تعود في النهاية .

ومن الضروري ، للقضاء على التمايزات الطبقية، التأثير في « تثوير كل الافكار الناجمة عن علاقات الانتاج هذه » الافكار تعني التفكير او الايديولوجية الاجتماعية ، وهما انعكاس للوجود الاجتماعي . الفكرة الخاصة ، تنبع من وتخدم دائما علاقات اجتماعية خاصة . وبناء عليه ، لا بد من تثوير كل الافكار القديمة – بما في ذلك التفكير القديم والثقافة القديمة والتقاليد القديمة والعادات القديمة – وتلك مهمة هامة لدكتاتورية البروليتاريا . ويستحيل تحقيق الانتصار النهائي للشيوعية ما لم يقض على كافة الافكار غير البروليتارية ، وقد ينتج الاخفاق في هذا المجال عن ارتداد تاريخي كبير . يعود ذلك الى ان وجود نفوذ الافكار البرجوازية هو المصدر الايديولوجي للعناصر البرجوازية الجديدة والرأسمالية . وذلك بالضبط هو سبب محاولتها الفاشلة للعودة او عرقلة التاريخ واستعادة الرأسمالية التي بذل في سبيلها طغمة لين بياو المعادية للحزب كل ما في جعبتها لترويج مذهب كنفوشيوس ومنشيوس .

ولذلك ، يعلمنا الرئيس ماو انه من الضروري « ممارسة دكتاتورية شاملة على البرجوازية في البناء الفوقي بما في ذلك كل ميادين الثقافة » .

القاعدة الوحيدة القضاء على الحكم والاضطهاد الطبقيين يكمن في تحطيم ظروف الاضطهاد الموجودة بتحويل كل وسائل العمل الى عمل منتج ، وبالتالي اجبار كل قادر بدنيا على العمل من اجل الحياة . ولكن قبل ان يتم هذا التغير تكون دكتاتورية البروليتاريا ضرورية وشرطها الاول جيش من البروليتاريا .

كارل ماركس : خطاب في الذكرى السابعة للاممية (سبتمبر ١٨٧١)

سؤال : لماذا قال ماركس انه لا بد من القضاء على الاضطهاد الطبقي بتحويل وسائل العمل الى عمل منتج ؟ ولماذا تكون دكتاتورية البروليتاريا ضرورية قبل اكتمال مثل هذا التغيير ؟

جواب : الملكية الخاصة لوسائل الانتاج هي اساس الاستغلال الطبقي والاضطهاد الطبقي . ومع الارض وادوات الانتاج ووسائل الانتاج الاخرى التي تحت سيطرة ملاك الارض والرأسماليين في المجتمع القديم ، اجبرت البروليتاريا والكادحون الاخرون الذين عجزوا عن امتلاك اي شيء او امتلكوا أقل القليل ، على الحياة تحت ظل استغلالهم واضطهادهم. والنتيجة كانت ان اولئك الذين كدوا لم يحصلوا على شيء او حصلوا على أقل القليل ، بينما حصل المستغلون الذين لم يعملوا شيئا على الاطلاق ، حصلوا كثيرا . وعلينا ، في سبيل وضع نهاية لمثل هذه الظاهرة غير المعقولة ، ان نغير ملكية وسائل الانتاج وتحويلها الى البروليتاريا والكادحين الآخرين . لكن هذا الامر ليس سهلا لان ملكية طبقات ملاك الارض والرأسماليين تحميها سلطتهم السياسية . فعندما تطلب من ملاك الارض والرأسماليين أن يسلموا الارض والمصانع التي اغتصبوها دون وجه حق فانهم يعيرونك آذانا صماء . ان الاقتصاد الواقع تحت الملكية الجماعية لوسائل الانتاج والذي يعارض جوهريا الملكية الخاصة لطبقات ملاك الارض والرأسماليين ، لا يمكن ان ينبثق في المجتمع القديم . وعليه ، اذا اردنا تغيير ملكية وسائل الانتاج فعلينا ان نلجأ الى العنف الثوري للاطاحة بدكتاتورية طبقات ملاك الارض والرأسماليين وممارسة دكتاتورية البروليتاريا. أليست حقيقة ان اراضي البورقراطية – الرأسمالية وملاك الارض في الصين القديمة صودرت وحولت الى الكادحين فقط بعد ان قام الشعب الثوري وجيش التحرير الشعبي بقيادة الحزب الشيوعي الصيني بالحاق الهزيمة بتشيانغ كاي شيك ، واقامة السلطة السياسية الشعبية ؟

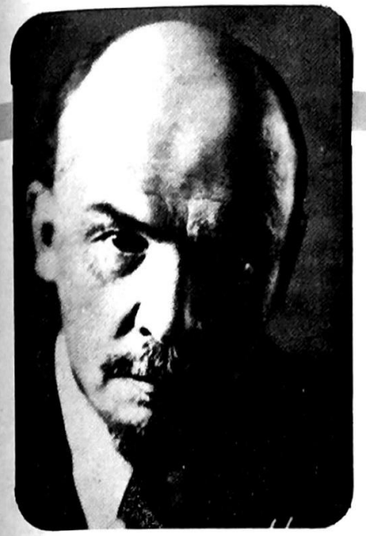

سؤال : كيف نفهم الملاحظة القائلة « شرطها [دكتاتورية البروليتاريا] الاول جيش من البروليتاريا » ؟

جواب : هذه الاشارة تمثل فكرة هامة جدا ينبغي ان نستوعبها خاصة في دراسة قول ماركس هذا . وهي تحدد بعمق وضع الجيش البروليتاري في ممارسة دكتاتورية البروليتاريا وتؤكد على الاهمية العظمى للبروليتاريا بأن يكون لديها قوات مسلحة ثورية في اقامة علاقات الانتاج في ظل الملكية العامة والقضاء على الاستغلال الطبقي .

وهنا ، يجدر ان نلاحظ ان ما قاله ماركس « الشرط الاول » وليس شرطا ثانويا او لا مغزى له . ذلك لان الجيش هو الاداة الرئيسية لسلطة الدولة . ان الاساس الرئيسي لجهاز دولة طبقات ملاك الارض والرأسماليين هو جيشهم الرجعي . ولا بد في سبيل ابادة القوات المسلحة الرجعية والاستيلاء على السلطة السياسية ، من وجود قوات مسلحة ثورية ، يعني جيشها الخاص بها . هذا هو الشرط الاول والذي لا غنى عنه لتاسيس دكتاتورية البروليتاريا .

ان جيش البروليتاريا هو الشرط الاول قبل وبعد الاستيلاء على السلطة السياسية على حد سواء. وفقط بالمحافظة على جيش بروليتاري قوي بعد اقامة دكتاتورية البروليتاريا يمكننا ان نقمع مقاومة العدو في الداخل وندافع ضد تخريب وعدوان العدو من الخارج وندافع عن الثورة والبناء الاشتراكيين . وكما قال الرئيس ماو : « ان الجيش ، وفقا للنظرية الماركسية حول الدولة ، هو الاساس الرئيسي لسلطة الدولة . فمن اراد ان يستولي على سلطة الدولة ويحتفظ بها فلا بد ان يكون لديه جيش قوي » . (قضايا الحرب والاستراتيجية) .

ومن المهم ملاحظة ان ماركس تكلم عن « جيش البروليتاريا » ولم يتحدث عن اي جيش آخر . بمعنى ان هذا الجيش عليه ان يحافظ دائما على طبيعته البروليتارية ، وبهذه الوسيلة فقط يمكنه انجاز مهماته القتالية الشاقة والمعقدة الموكلة اليه من دكتاتورية البروليتاريا . ان جيش التحرير الشعبي الصيني جيش بروليتاري من طراز جديد أسسه وقاده وتولى قيادته الزعيم العظيم للشعب الصيني ، الرئيس ماو شخصيا ، انه جيش شعبي تحت القيادة المطلقة للحزب ، ويطبق الخط الثوري للرئيس ماو وينفذ مهماته كفريق مقاتل وكفريق عمل وكفريق انتاج . « ان الهدف الوحيد لهذا الجيش هو ان يقف بحزم الى جانب الشعب الصيني وان يخدمه باخلاص » . (ماوتسيتونغ – حول الحكومة الائتلافية) . ان هذه الطبيعة البروليتارية التي يتحلى بها جيش التحرير الشعبي هي التي تجعله دائما السند الجبار لدكتاتورية البروليتاريا . وفي سبيل تخريب هذه الدكتاتورية ، حاول لين بياو والدجالون البرجوازيون والخونة الآخرون على شاكلته ، حاولوا بكل وسيلة ممكنة اضعاف قيادة الحزب على الجيش ، ودفعوا خطا عسكريا برجوازيا، في محاولة عابثة لتغيير طبيعة جيشنا البروليتارية . بيد ان كل مؤامراتهم انتهت بهزيمة ساحقة .

ان الثورة الشيوعية هي الانفصال الجذري الحاسم عن نظام التملك التقليدي، فلا عجب ، اذا انفصلت اثناء تطورها عن الافكار التقليدية بصورة جذرية حاسمة ايضا .

ك . ماركس وانجلز
(البيان الشيوعي ١٨٤٨)

سؤال : ما هي علاقات التملك التقليدية ؟

جواب : « علاقات التملك التقليدية » تعني علاقات الانتاج في ظل الملكية الخاصة . ومنذ ان تحول المجتمع البشري في تطوره التاريخي الى مجتمع طبقي بعد تفكك المشاعية البدائية حل نظام اجتماعي محل الآخر ، واستمرت حالة الانتاج تتقدم مثلما تطور المجتمع العبودي الى المجتمع الاقطاعي الذي تطور بدوره الى المجتمع الرأسمالي عبر آلاف السنين الغابرة . ان كل ثورات الايام الخوالي ، سواء باحلال النظام الاقطاعي محل العبودي أو النظام الرأسمالي محل الاقطاعي ، نتج عنها جميعا احلال نوع من الملكية الخاصة محل آخر . ومن هنا ، الملكية الخاصة هي نظام الملكية التقليدي .

سؤال : لماذا يكون من الضروري للثورة الشيوعية ان تؤثر بشكل حاسم في علاقات التملك التقليدية ؟

جواب : عندما تطور المجتمع الى المرحلة الرأسمالية تحول تطور الصناعات الكبيرة التي تستخدم الآلات الى انتاج منتجات اجتماعية واسعة النطاق مما ادى الى تناقضات لا محيص منها مع الملكية الخاصة لوسائل الانتاج . مثل هذا الشأن يقرر بأن الثورة الشيوعية ينبغي ان تقضي قضاء تاما على الملكية الخاصة وتضع وسائل الانتاج تحت الملكية العامة من قبل المجتمع كله . وبهذا فقط يمكن لعلاقات الانتاج ان تلائم متطلبات تطور القوى المنتجة.

ان القضاء على الملكية الخاصة ينسجم تماما مع القضاء على الطبقات . ان الثورة الشيوعية هي اعمق واشمل ثورة في تاريخ البشر وهدفها اقتلاع الاستغلال والاضطهاد الطبقيين والقضاء على الطبقات والتمايزات الطبقية وتأسيس مجتمع شيوعي لا طبقي . وان الملكية الخاصة هي القاعدة الاقتصادية للاستغلال والاضطهاد الطبقيين ، والاساس الذي تعتمد عليه كل الانظمة الاستغلالية . وينبغي للبروليتاريا ، بعد الاستيلاء على السلطة السياسية، ان تستولي من طبقات ملاك الارض والرأسماليين على وسائلهم الانتاجية وتقضي على الملكية الخاصة الاقطاعية والرأسمالية . وعليها في ذات الوقت ان تحول الانتاج الصغير تدريجيا ، اي : اقتصاد خاص صغير . والا سيكون الاقتصاد الخاص الصغير على تناقض مع الانتاج الصناعي الاشتراكي الكبير ويعطل تطور الانتاج ، وطالما وجد فانه سيسبب بلورة الطبقات وخطرها والاستغلال الطبقي والرأسمالية مرة اخرى في اي وقت .

ولهذا لا بد ان تؤثر الثورة الشيوعية اشد تأثير في علاقات التملك التقليدية وتزيل الملكية الخاصة والعرقلة والتعثر والواد .

سؤال : ما هي الافكار التقليدية ؟

جواب : « الافكار التقليدية » تشير الى كافة الافكار القديمة العاكسة للعلاقات الاجتماعية في المجتمع في ظل الملكية الخاصة . وتشمل كل الافكار القديمة والثقافة القديمة والعادات القديمة والتقاليد القديمة وكذا الافكار المهترئة لطبقات ملاك الارض والرأسماليين والطبقات المستغلة الاخرى وافكار الملكية الخاصة الضيقة للمتملكين الصغار . ان مذهبي كنفوشيوس ومنشيوس هما افكار تقليدية كانت تحييها وتنعشها دائما الطبقات المستغلة في الصين عبر آلاف السنين ونشرت تأثيراتها السامة طولا وعرضا ، وهما السند الروحي لحكم تلك الطبقات الرجعي .

سؤال : لماذا تكون الثورة الشيوعية اشد حسما في الافكار التقليدية؟ ما علاقة ذلك بالقضاء التام على الملكية الخاصة ؟

جواب : الايديولوجية تتبع البناء الفوقي ، انها تنبع من قاعدة اقتصادية خاصة وبالتالي تخدمها . اشار الرئيس ماو : « بينما نعترف ان المادة ، في تطور التاريخ العام تحدد الذهنية والوجود الاجتماعي يحدد الوعي الاجتماعي ، لا بد ايضا – لا بد في الواقع – ان نعترف برد فعل الاشياء الذهنية على المادية والوعي الطبقي على الوجود الطبقي والبناء الفوقي على القاعدة الاقتصادية » (حول التناقض). ان كل الافكار القديمة التي تعكس علاقات الملكية الخاصة ما هي الا أسلحة ايديولوجية للمحافظة على الملكية الخاصة . وان الافكار التقليدية التي تشكلت على اساس الملكية الخاصة لآلاف من السنين ضاربة الجذور ولا يمكن ان تزول من تلقاء نفسها لحظة القضاء على الملكية الخاصة . وبعد اقامة الملكية العامة الاشتراكية ، ستبقى هذه الافكار زمنا طويلا تفسد في عقول الشعب وتعرقل وتخرب توطيد وتطور الملكية العامة الاشتراكية . واذا لم يجر خوض النضال للتخلص منها خطوة فخطوة واذا سمح لها الانتشار بلا كبح فستؤدي الى استعادة الملكية الخاصة الرأسمالية في اي وقت . ولذلك ، ليس يكفي الثورة الشيوعية البروليتارية ان تحطم علاقات التملك التقليدية بل يجب ان تؤثر جذريا في الافكار التقليدية . وهذان الشيئان الاشد حسما وجذرية متداخلان ولا يمكن فصلهما . والحسم الجذري في هذين المجالين يدعو بالضرورة الى التمسك بدكتاتورية البروليتاريا .

وفي العشرين سنة الماضية او اكثر منذ التحرير ، حررت البروليتاريا والكادحون الاخرون في الصين انفسهم اساسا من اصفاد الملكية الخاصة وتوطدت وتطورت القاعدة الاقتصادية الاشتراكية تدريجيا نتيجة التحويل الاشتراكي لنظام الملكية . غير اننا يجب ان نكون حذرين حيث ان المسألة لم تحل بالكامل نظرا الى طبيعة نظام الملكية وان انجاز ذلك الجزء من المهمة في التحويل الاشتراكي لا يمكن ان يتم الا في مدة طويلة نسبيا . ان بصمات المجتمع القديم التي توجد في علاقات الناس المتبادلة وفي التوزيع ستستمر تفعل فعلها في نظام الملكية . وسيظل النضال الجاد بين الطبقتين والطريقين في الميدان الاقتصادي . ان نضال من سيحرز النصر ، البروليتاريا او البرجوازية ، في الميدان الايديولوجي سيكون اطول واكثر عمقا . وفي الصين ، ان التأثير الايديولوجي للطبقات المستغلة الذي انحدر منذ بضع الاف من السنين ضاربة جذوره في الاعماق ، اما التأثير الايديولوجي للبرجوازية الصغيرة فهو اشبه بالمحيط الواسع . ان الاعداء الطبقيين المطاح بهم لا بد ان يستخدموا الايديولوجية القديمة والافكار التقليدية لمهاجمة البروليتاريا . وما دامت الحال كذلك فمن المحتم مواصلة الثورة في القاعدة دكتاتورية شاملة على البرجوازية .

عن مجلة « اخبار بكين »
العدد ٤١ – ١٠/١٠/١٩٧٥
ترجمة : ابو خالد